توطئة

لم أقصد أن أكتب مذكرات، ولم أحتفظ بدفتر يوميات. إذ لو فعلت ذلك لكنت أعقت عملي. وبعد خمس سنوات على استقالتي من منصب رئاسة الوزارة أقنعني صديقي وزميلي القديم ليم كيم سان، رئيس مجمع سنغافورة الصحافي (sph) بأن الجيل الشاب سيقرأ مذكراتي لأنه مهتم بقراءة كتاب عن خطبي السابقة التي نشرها المجتمع باللغة الصينية. كنت قلقاً أيضا من الثقة الجلية الزائدة لجيل لم يعرف سوى الاستقرار، والنمو، والرخاء. ورأيت أن شعبنا لا بد أن يفهم كم كانت سنغافورة هشة، وما تزال، والمخاطر التي تحيط بنا، والتي لم نصنعها نحن. وكنت آمل قبل كل شيء أن يعرفوا أن الحكومة الفاعلة والأمينة، والنظام العام والأمن الشخصي، والتقدم الاجتماعي والاقتصادي لم تأتِ على أنها مجرى طبيعي للأحداث.

فهذه ليست تاريخ رسمي. بل إنها قصة سنغافورة التي نشأت فيها، والسنوات الهادئة لحكم الاحتلال البريطاني، وصدمة الحرب، والسنوات القاسية للاحتلال الياباني، والعصيان الشيوعي المسلح والإرهاب منذ عودة بريطانيا، والاضطرابات الطائفية والتهديد في ماليزيا، ومخاطر الاستقلال.

يعالج هذا الكتاب السنوات المبكرة التي انتهت باستقلالنا المفاجئ، عام 1965م. ولسوف يصف كتابي التالي الصعود الطويل والشاق على مدى 25 سنة من الفقر إلى الرخاء.

كثيرون كانوا لم يولدوا بعد أو كانوا صغيرين جداً عندما استلمت السلطة عام 1959. ولا يعرفون كيف اقتطعت دولة صغيرة تفتقر إلى الموارد الطبيعية من أرضها الخلفية الطبيعية، كما كان عليها أن تحافظ على وجودها في عالم قاس من الدول القومية الجديدة في جنوب شرق آسيا. إنهم يعتبرونه أمراً طبيعياً جداً أن يعيد البنك الدولي تصنيف سنغافورة في أقل من أربعين سنة من دولة دون مستوى التطور إلى دولة متطورة.

ومن أجل أن أضع هذا الكتاب كان علي أن أستعيد ذكريات أحداث نسيتها منذ زمن، وأن أقرأ محاضر الاجتماعات، والرسائل التي بعثت بها والتي تلقيتها، ونسخ التاريخ الشفوي للزملاء، إنه جرد محتويات نفساني، ولقد دهشت كم كانت مزعجة أحياناً رغم مرور وقت طويل على تلك الأحداث.

كان لدي ناقد ومساعد وحيد قدير، هو زوجتي تشو. فقد كانت تتابع كل كلمة كتبتها عدة مرات. وكان بيننا مناقشات لا تنتهي. إنها محامية لا تقوم بتفريغ الوثائق ألا وهي المحاماة. لم أكن أسجل مسودة أو وثيقة كي يدققها قاض. ومع هذا فقد طالبتني بلغة دقيقة واضحة لا يشوبها الغموض. كانت تشو ذروة من القوة تحدثني دوماً بتأييد عاطفي وفكري دائمين.

لم أكتب إلا عرضاً عن جزء مهم من حياتي، وهو أولادنا الثلاثة. فقد كانوا مصدر متعة ورضى، بينما أنا وزوجتي نراقبهم يكبرون، ويبنون كأجدادهم مهناً ناجحة في سنغافورة التي حولتها سياستي

بالنسبة لي ولزملائي في الوزارة، كانت عائلتنا في قلب جهودنا الجماعية لبناء دولة من حطام، أردنا لسنغافورة أن تكون مفخرة لأولادنا وأولاد مواطنينا، سنغافورة تقدم لجميع مواطنيها فرصاً متكافئة وفسيحة للمستقبل. لقد كان هذا الواقع في مجتمع آسيوي مهاجر، هو ما حفزنا على النضال وتجاوز كل الصعاب.

لي كوان يو

سنغافورة، تموز (يوليو) 1998م.

كلمة شكر

كنت محظوظاً عام 1995 في جمع فريق من الباحثين الشبان. أندرو تان كوك كيونغ، العامل في الخدمة الإدارية في سنغافورة يساعده بانغ جيك تشو،الذي كان يعمل في «ستريتس تايمز». و«آلان تشونغ». الذين قاموا ببحث دقيق في محفوظات الحكومة، وفرزوا رسائلي، واجتماعاتي المهمة والوثائق المناسبة. وكان أندرو تان من أكثر المساعدين لي أهمية، إذ عمل على تنسيق العمل بين الباحثين، وتنظيم المواد، مما جعل مهمتي أيسر وأسهل. وكان بانغ جيك تشو سريعاً وفعالاً في متابعة تقارير الأحداث والخطب في محفوظات جريدة «ستريتس تايمز» وفي السنوات الأربعين الأخيرة. وبعد سنتين ومع توسع العمل انضم الى فريق عملي كل من ولتر فرناندیز ویفون لیم من sph ود.جوه إي تينغ من «جامعة سنغافورة الوطنية» (nus).

كانوا قد تلقوا مساعدات من موظفين أمثال بانير سيلفان من وزارة الخارجية. كما كانت مسؤولة السجلات في مكتب رئيس الوزراء، فلورنس ليرتشي كينغ ومساعدوها، ويندي تيو كوي جيوك وفيجيا نيثمالا، ناجحين للغاية في تصنيف رسائلي ومذكراتي منذ الستينيات.

وقامت ليلي تان، مديرة المحفوظات الوطنية، بمساعدة الباحثين العاملين معي في تقديم ما يطلبونه من وثائق ونصوص تاريخية شفوية، لأولئك الأشخاص الذين سمحوا لي بأن أطلع عليها، وموظفو مكتبة جامعة (nus) و(المكتبة الوطنية) ومكتبة افتتاحيات (ستريتس تايمز) قدموا كذلك يد العون الكريمة.

وقد سمح لي رئيس الوزراء جوه تشوك تونغ، أن أطلع على التسجيلات والوثائق كافة في الوزارات الحكومية والمحفوظات.

كما قدمت وثائق (مكتب السجلات العامة البريطانية) في كيو، والمكتب الكولونيالي وشؤون الكومونويلث رؤية مفيدة من وجهة نظر بريطانية تجاه الأحداث من 1955 حتى1965 . واطلع دينيس بلودورث، وهو صديق قديم، وكان مراسلاً خارجياً لصحيفة (لندن أوبزيرفر) على مسوداتي. وكان دقيقاً في شطب ما هو مكرر واقتراح بدائل لتعبيراتي المفضلة. بيد أنه تركني أقرر ما جاء في كتابي.

كما قرأ مسوداتي جيل أكثر شباباً من كتّاب الافتتاحيات والصحفيين من صحيفة straits times من أمثال تشيونغ يب سينغ (رئيس التحرير) وهان فوك كوانغ (محرر سياسي) وارين فرناندیز، وسوميكوتان وزورياده إبراهيم من (الجريدة الجديدة) وإيرين نغ من (زاوباو) وليم جيم كون (محرر) وسينغ هان ثونغ. وقد اقترحوا كثيراً من التحسينات، بحيث يستطيع أولئك الذين لم يكونوا مولودين عندما حدثت الأحداث التي تناولتها، أن يفهموا خلفية ما حدث. كما قام كل من هان فوك كوانغ وارين فرناندیز بتحسين أسلوب روايتي. كما دققت شوفا لوه المحررة في (تايمز ايديشنز) في جملي وأزاحت الأخطاء.

ولتجنب الكلام غير الدقيق عن قضايا الملايو جعلت غونتور سادلي (رئيس التحرير في بريتا هاريان) يقرأ جميع مسودات الفصول المتعلقة بالملايو، وشارك في ذلك عضو البرلمان عن (حزب العمل) يعقوب إبراهيم، ومحمد ميدين، وزين العابدين رشيد، ووزير تنمية الجماعات عبد الله طرموجي. إذ لم أكن أريد أن أسيء إلى مشاعر سكان الملايو، وقد حاولت ألا أفعل ذلك.

كما قرأ عدد من زملائي من أمثال جوه كينغ سوي، وليم كيم سان، أونغ بانغ بون، وعثمان ووك، ولي كهون تشوي، ورحيم إسحاق، وموريس بيكر، وسيم كي بون، وناثان ونغيام تونغ دو، الفصول التي تهمهم من مسوداتي، وعملوا على تأكيد أو تصحيح إعادة ذكري للأحداث.

كما قرأ تصحيح الصفحات السفير تومي كوه. والسفير في واشنطن تشان هينغ تشي، والسكرتير (السياسي) الدائم كيشور محبوباني في وزارة الخارجية، وبيلهاري كاوسيكان نائب سكرتير في وزارة الخارجية، وقد قدموا اقتراحات مفيدة وكثيرة.

أنا ممتن لهم ولكثيرين آخرين ممن أعطوني طواعية الكثير من الوقت والمشورة اللذين استفدت منهما. ولكن المسؤولية عن أي تقصير تقع على عاتقي فحسب.

إذ كنت أستقبل الزوار وأقوم بمهمات أخرى مناطة بي أثناء النهار. وكنت أقوم بمعظم أعمال البريد الشخصي في الليل بعد إنجاز أعمال النهار. وكان كثير من الشبان والشابات ممن كنت أرسل إليهم مسوداتي، يسألون ما إذا كان توقيت بريدي الشخصي صحيحاً، وكنت أجيبهم بالإيجاب.

قام المساعدون الذين عملوا معي طويلاً من أمثال تشيونغ شينغ هون، وونغ لين هو، بعمل شاق في طباعة وإعادة طباعة مسوداتي. وقد استقال تشيونغ عندما تم إنجاز ثلاثة أرباع الكتاب وحلَ محله اثنان هما كوه كيانغ تشاي ولوه هوك تيك. كان عليهم جميعاً أن يتكيفوا مع الساعات الصعبة التي يتطلبها عملي بعد الظهر.

إنني مدين لجميع هؤلاء وشاكر لهم.